## من تراب الطريق (٣٠٩) هل صار العدو هو الإسلام ؟! (*)

أتابع فى اندهاش شديد ، واستغراب ممض، أقلامًا وكلماتٍ تركت ما نعانيه ، وتجاهلته وصمتت صمت القبور عنه وعن أسبابه ، وطفقت تحت شعارالتنوير الذى لا يختلف عليه أحد ، تعادى الإسلام نفسه كدين ، وتشدد عليه النكير ، وتعزو إليه دون غيره ! كل المشاكل والمثالب والرزايا والنكبات التى أحاطتنا من كل جانب ، حتى ليظن القارئ أو السامع أن الإسلام الدين هو سبب الظلام والإظلام ، والرجعية والجمود ، والتراجع والقهر ، وأنه السبب الوحيد لكل مآسينا .. هو سبب كارثة الدويقة ، واختلاط مياه المجارى والصرف الصحى بمياه الشرب ، وجالب التيفود ، وأنفلونزا الطيور والخنازير ، وأنه هو هو هذا الإسلام ! سبب الاحتقانات التى تشجر من وقت لآخر ، فى الصحافة والقضاء والخبراء والنقابات ، وأنه هذا الإسلام ! هو سبب المليارات التى ضاعت فى فوسفات أبو طرطور ، وفى مشروع توشكى ، وفى منح وتوزيع الأراضى على أصحاب الحظوة ، وتسريب الغاز إلى إسرائيل بأقل الأثمان ورفض النجدة التى أتت من القضاء لإقالة الاتفاق اللا متوازن مما تعثر فيه ، وأنه هو هو هذا الإسلام ؟! الذى سرب الأرض إلى شخص ذى حظوة كبيرة وفجر وأضاع مئات الملايين من الجنيهات

(*) المال ١١/ ٨/ ٢٠٠٩

وأدى إلى خسران القضايا والتحكيم فى قضية سياج ، وأنه هو هو هذا الإسلام ؟! السبب فى انحدار التعليم وتآكل وترنح مؤسسته ، وفى تراجع الصحة وانتشار الأوبئة والأمراض ، وفى محاصرة وضرب الحريات ، وأنه هو هو هذا الإسلام ! السبب فى القمع والاعتقال وتجاهل الدستور ثم تطويقه ، وفى مصادرة تكوين الأحزاب ، وعدم تنفيذ حكم القضاء بعودة حزب العمل ، وضرب باقى الأحزاب من داخلها ، وأنه هو هو هذا الإسلام دون سواه !! سبب العشوائيات وما يجرى فيها من شيوع الرذيلة والمخدرات حتى زنى المحارم ، وأنه هو هو هذا الإسلام ! سبب تراجع حال الرياضة وانتشار العشوائية فى الإدارة والبناء ، وسبب فوضى الشوارع وانتشار الزبالة والقاذورات فى كل مكان ، وأنه هو هو هذا الدين الإسلامى ! سبب خراب النفوس والذمم وشيوع النفعية والفساد والجعول والرشاوى والسرقات والاختلاسات !

حرام أن تترك الأقلام الكبيرة هذه الكبائر لتصور للناس أن العدو الحقيقى هو الدين الإسلامى ، ولا تتفضل حتى بالفصل بين الدين كدين قيمته فيه ، وبين جنوح بعض المنتسبين إليه ، وهو قدر على كل الديانات ، وتسحب وتشد ما قيل ويقال عن تنكب الصواب فى منح إحدى جوائز الدولة إلى منطقة الإظلام والتنوير ، والتكفير والإيمان ! .. وهذه لعبة خطيرة ، ولكنها لا تنطلى على أحد .. فالنقد الموضوعى العاقل ينصرف إلى معايير وضوابط منح جائزة الدولة ، ووجوب الابتعاد بها عن تحقيق الأغراض السياسية أو المنافع الشخصية ، وأن هذا النقد يستوجب بالضرورة التعرض للحالة لبحث معايير إعطاء الجائزة ، وهل توافرت أم لم تتوافر ، والبحث من ثم فى المقومات والإنتاج ، ليس تفتيشا

فى الضمائر ، ولا فى مناطق العقيدة ، فالممنوح له الجائزة من حقه كمواطن أن يكون مسلمًا أو مسيحيا أو يهوديا أو ملحدًا ، ومن حقه أن يعتقد وأن يكتب ما يشاء إلاّ أن يدخل قانونا فى دائرة إزدراء الأديان .. وهذه الحرية التى لا ينازع فيها أحد لا تحول بين الباحث فى تقويم اعتبارات إعطائه الجائزة ، وبين وزن ما حصل أو لم يحصل عليه من شهادات كانت ولا شك ضمن معايير الإعطاء ، سيما أن الانتحال إن كان له مدلول بالغ الخطورة ، ولا تحول بين الباحث للتقويم وبين وزن أعماله واستشراف مدى الصواب أو الخطأ أو التهافت أو الجنوح فيها ، لا للمصادرة على حقه حتى فى أن يجنح ، وإنما لاستطلاع المعايير التى منح على أساسها جائزة الدولة التقديرية ، وهل أصابت هى لا هو ! أم جنحت ، وهل أحسنت هى لا هو ! أم لم تحسن الاختيار والإرساء !

لم يفتنى السعى الحثيث لشد القضية إلى منطقة العقيدة والادعاء بأن نقد تقرير الجائزة يندرج فى باب التكفير أو مصادرة حرية البحث والرأى ، وهو سعى مغلوط لإخراج القضية من دائرتها الحقيقية إلى دائرة مصطنعة للخداع والتمويه !!

الأخطر من هذا أن هذا الشد الذى طفقت تباركه أقلام لها انتماء أو ولاء أو مصالح لدى الجهة المانحة ، قد اقترن للأسف بالهجوم على الدين الإسلامى .. فهل تفضل أصحاب هذا التهجم الضرير على سقف الدين بالنظر والكتابة ولو فى موضوع واحد من الموضوعات العديدة التى أشرت إلى بعضها من باب الإشارة ليس إلاّ ؟! هل من نجاة من هذا الغثاء الذى يقلب كل الموازين ويقود البلاد إلى أوخم العواقب ؟!!